محاضرة في الأدب الاسلامي / المرحلة الثانية قسم اللغة العربية / كلية التربية الأساسية

م.د. ياسمين احمد علي **١٨ / ١٠ / ٢٠١٦**

أثر القرآن الكريم في اللغة والأدب

القران الكريم مفخرة العرب في لغتهم ، إذ لم يُتَحْ لأمة من الأمم كتاب مثلهُ لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب ، سواء حين يتحدث عن عبادة الله الواحد الأحد وعظمته وجلاله ، أو عن خَلقْه للسموات والأرض ، أو عن البعث والنشور ، أو حين يشرع للناس حياتهم ويقيمها على نهج سديد يحقق لهم السعادة في الدارين : الأولى والآخرة .

لا يكاد يمضي في تلاوته حتى يروع سامعيه، ويأخذ بمجامع قلوبهم، سواء أكانوا من أنصاره أم من أعدائه فقد روى الرواة أن الوليد بن المغيرة الذي كان ألد خصومهُ سمعه يتلو بعض آي الذكر الحكيم ، فتوجه إلى نفر من قريش يقول لهم : ((والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وان له حلاوة وان عليه لطُلاوة ، وان أعلاه لمثمر وإن أسفله لمُغدق)).

ووضح أنه أحسَّ في دقة أن آي القرآن تباين كلام الإنس من فصحائهم كما تباين كلام الجِن الذي كان ينطق به كُهنائهم . أنه ليس شعراً موزوناً ، مما كان يدور على ألسنة شعرائهم ، ولا سجعاً مقفى مما كان يدور على ألسنة كهانهم وغيرهم من خطبائهم ، إنما هو نمط وحدهُ فُصلَّت آياته بفواصل تطمئن عندها النفس ، وتجد فيها وفي كل ما يتصل بها من ألفاظ روحاً وعذوبة . إنه نمط باهر ، بل هو نمط معجز ببيانه ولاغته ، يقول جَلَّ ذكرهُ : ((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثلهِ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من

دون الله أن كنتم صادقين) وفعلا عجز العرب عن معارضته عجزاً تاماً فمضوا يجردون سيوفهم ويغمدون ألسنتهم ، ولم تلبث المعجزة الباهرة أن استعلت ،ولم تلبث أضواؤها أن انتشرت في الجزيرة العربية ، وسرعان ما بزغت على دروب العالم ومسالكه من أواسط آسيا إلى جبال البرانس مما هيأ لانقلاب واسع في تاريخ اللغة العربية وأدبها . ونُجمل ذلك إجمالاً . فأن تفصيله لا يتسع له كتاب فضلاً عن صحف معدودة .

وأول ما كان من أثار القرآن الكريم أنه جمع العرب على لهجة قريش وحقاً كانت هذه اللهجة تسود القبائل الشمالية في الجاهلية ، غيران هذه السيادة لم تكن تامة ، فقد كان الشعراء هم الذين يستخدموها غالباً . أما قبائلهم فكانت تلوك لهجات تختلف عن اللهجة القرشية قليلاً أو كثيراً ، حسب قربها من مكة أو بعدها فعمل القرآن على تقريب ما بين هذه اللهجات من فروق واستكمال السيادة للهجة القرشية ، إذ كان العرب يتلونه آناء الليل وأطراف النهار . وأخذت هذه اللهجة تعمُ بين القبائل الجنوبية متغلغلة في الأنحاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم الحميرية . ولما فُتحت الفتوح ومُصرت الأمصار أخذت لهجة تسود في مشارق العالم الاسلامي ومغاربه ، إذ كانت تلاوته فرضاً مكتوباً على كل مسلم ، وحثَّ الإسلام على حفظهِ وترتيله ، يقول عَزَّ شأنه : ((ورتل القرآن ترتيلا)) ((ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشرهُ يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى)) . وبذلك تحول المسلمون في جمهورهم الى حفظة للقران ، يتلوه كبيرهم وصغيرهم حتى من سكنوا منهم الصحارى البعيدة ورؤس الجبال ، مما جعلهم ينطبعون بطوابعه اللغوية .

وثاني آثارهُ أنه حول العربية الى لغة ذات دين سماوي باهر ، وبذلك أحل فيها معاني لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها ، وعادة يقف مؤرخوا الأدب عند ألفاظ ابتدأها ابتداء مثل : الفرقان والكفر والإيمان والإشراك والإسلام والنفاق والصوم والصلاة والزكاة والتيمم والركوع والسجود وغير ذلك من كلمات

الدين الحنيف ، ولكن من الحق أن المسألة لم تكن مسألة ألفاظ فحسب ، إنما كانت أيضاً مسألة دين جديد ، له مضمونه الذي لم يكن العرب يعرفونه ، من الدعوة الى عباد الله واشتقاق الدليل عليها وعلى وحدانيته من خلق السموات والأرض ومن تاريخ الأمم وما يعي من عظمات ومن تاريخ الأنبياء وما يحمل من عبر ، ومن تقرير البعث والنشور .

وثالث أثارهُ أنه هذَّب اللغة من الوحشية ومن اللفظ الغريب ، فأقامها في هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة ، ويكفي أن تعود معلقة مثل معلقة لبيد أو الى شعر قبيلة مثل هذيل وديوانها المطبوع لترى كيف أنه حقاً أختطَّ أسلوباً جزلاً ، له رونق وطلاوة ، مع وضوح القصد والوصول الى الغرض من أقرب مسالكهُ ، وهو أسلوب ليس فيه زوائد ولا فضول ، فاللفظ على قدر المعنى وكأنما رُسم له رسماً ، وهو لفظ لا يرتفع عن الإفهام ولا عن القلوب ، بل يقرب منها حتى يلمس الشغاف . ومما لا شك فيه أن القران هو الذي ابتدع هذا الأسلوب المحكم ، بل هذا الأسلوب السهل الممتنع الذي يلذ الآذان حين تستمتع له والأفواه حين تنطق به والقلوب حين تصغي اليه هذا الأسلوب الذي يميز عربيتنا ، والذي استطاع أن يفتح القلوب حين فتح العرب الأمصار فإذا أهلها مشدوهون ، وإذا هم يهجرون لغاتهم المختلفة الى لغته الصافية الشفَّافة .

محاضرة في الأدب الاسلامي / مرحلة ثانية / قسم اللغة العربية / كلية التربية الأساسية

م.د. ياسمين أحمد علي **٢٠ / ١٠ / ٢٠١٦**

دعوى ضعف الشعر الاسلامي

يشيع بعض الباحث من عرب ومستشرق فكرة ضعف الشعر العربي بعد الإسلام ويرددون أحكاما وآراء أطلقها بعض النقاد في القرن الثاني والثالث الهجري عندما قرروا ضعف الشعر بعد الإسلام وانصراف الشعراء عن قوله وبعد الناس

عن الاهتمام بالشعر منذ إن نزلت الآيات الكريمة والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون...».

وتناقلوا حديث الرسول (ص): لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا.

وقالوا: إن عمر بن الخطاب قال: كان الشعر علم قوم لم يكن علم أصح منهJ فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهيت عن الشعر وروايته.

ورددوا قوله الأصمعي: إن الشعر نكد بابه الشر.

وقولة ابن خلدون: انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي ، وما أدهشهم في أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا.

إن هذه النصوص المبثوثة في كتب الأقدم كان لها صدى دراسات المحدث فاستندوا إليها وبنوا عليها نظر الشعر الإسلامي .

ويمكن إجمال ذلك الصدى في كتب المحدث بالآتي:

١ - إن المسلمين شغلوا بالقرآن وسكت شعراؤهم ليستمعوا إلى كلمة الله ذلك الصدى القوي الذي رن في أسماع العالمين بكنه الرسالة الجديدة وفلسفتها كان جديرا بان يوقف أساليب القول والتفكير ألا في هذه الرسالة نفسها.

٢ - إن طريق الإسلام غير طريق الشعر ومذهبه غير مذاهب الشعراء فالشعراء إنما كان أكثر قولهم عصبية جاهلية وفخرا وحماسة بما بين قبائلهم من تنازع ومطاولة بالأنساب والاحتساب وهجاء ومدحا باطلا وهي مذاهب حاربها الإسلام .

وان الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر فإذا أدخلته في باب الخير لان .

٣ - إن بعض الشعراء شغلوا عن الشعر بالجهاد في سبيل الله.

٤- إن النبي (ص) لم يهيئ لعامة الشعراء مكانا رحيبا في كنفه لما كانوا عليه في شعرهم من مذاهب لا يقرها الدين فكف بعضهما عن قول الشعر .

٥ - إن الضعف الذي يبدو على الشعر الإسلامي إنما كان بدأ في الحقيقة قبيل الإسلام لا بعده كان قد انقضى عصر الفحول ولم يبق إلا الأعشى الذي مات - كما تقول الرواية - وهو في طريقه إلى النبي (ص) ليمدحه ويعلن إسلامه ولبيد الذي كان قد بلغ الستين ، أوشك أن يكف عن قول الشعر ولم يبق عند ظهور الإسلام إلا شعراء مقلون بعضهم مجيد في قصائد مفردة ولكن لا يبلغون شاو هؤلاء الفحول .

ولتأكيد مقولة ضعف الشعر الإسلامي يورد هؤلاء الباحثون القول بأن شعر حسان بن ثابت لان وضعف في الإسلام وان بعض الشعراء قد انصرفوا تماماً عن قول الشعر بعد الإسلام مثل لبيد بن ربيعه .

وفي الجانب الأخر ظهر فريق من الباحث رفضوا القول بضعف الشعر الإسلامي وأكدوا إن نهضة الشعر قد استمرت بعد الإسلام إن لم تكن قد تقدمت خطوات هيأ لها الإسلام من أسباب التقدم والنهوض .

محاضرة في الأدب الاسلامي / مرحلة ثانية / قسم اللغة العربية / كلية التربية الأساسية

م.د. ياسمين أحمد علي **٣ / ١١ / ٢٠١٦**

الأغراض الشعرية

عندما جاء الاسلام ، وكثر أتباعه ، كانت تعاليمه تدعوهم للخضوع الى نظم خاصة ، وقوانين شاملة لكل ألوان الحياة ، فكان لابد أن يلتزم الشعراء بتلك النظم وان يتوجهوا في أغراضهم نحو تلك الحياة الجديدة ، ويطرحوا ما لا يتناسب وتلك الحياة من الأغراض التي ألفوها في حياتهم الجاهلية ، لأنها لم تعد تتفق ومبادئ وأخلاقيات المجتمع الاسلامي الجديد ، وابرز تلك الأغراض التي ابتعد عنها الشعراء المسلمون الغزل المتهتك والخمريات والهجاء المقذع الفاحش .

إلا أن الشعر ظل يصور حياة الناس ، ويسيل على السنة الشعراء عذباً رقيقاً ، حيث يستوعب همومهم ، ويعبر عما يجيش في صدورهم او يدور في أفكارهم ، فلم يبق احد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر وتمثل به .

واستحدثت حياتهم الجديدة أغراضاً جديدة لم يعرفوها من قبل وانتظمت تلك الأغراض كالآتي :-

الشعر الديني :

كان الشعر الديني ابرز الأغراض الجديدة ، حيث بدأ الشعراء يتحدثون عن عقائد الدين ومثله العليا ، ويدعون الى التمسك بها والتحلي بما تدعوا له ، وهو لون جديد من الشعر لم يكن دين العرب من قبل الاسلام يستوعب أن يتحدثوا عنه بغرض شعري خاص .

تحدث الشعراء في هذا الغرض عن وحدانية الله ، وعن الوحي والنبوة ، وعن عقيدة الخلق والحياة ، وعن الموت والبعث والحساب ، وعن الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، والحلال والحرام .

فالإسلام يدعوا مثلا الى الأيمان بالأنبياء وبرسل الله الذين بعثهم للناس ((قل كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ولا نفرق بين احد من رسله)) .

فتناول حسان هذا الإيمان بقوله :

شهـــدت بإذن الله أن محمـــــداً رسول الذي فوق السمــاوات مــن عل

وأن أبا يحيى ويحيى كـــــلاهما لـــه عمـــل مـــن ربـــه متقبـــل

وان الذي عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

وأن أخــا الأحقــاف إذ قام فيــهم يجـــاهد فـــي ذات الالـــه ويعـــدل

الوعظ والإرشاد :

احتاجت أوامر الدين ونواهيه الى الحث على الالتزام بها وتنفيذها ، فنشأ لون جديد من الشعر هو شعر الوعظ والإرشاد ، وقد حاول شعراء صدر الاسلام الإفادة من فنهم الشعري لتحقيق هذه الغاية النبيلة التي دعا اليها القران بمثل الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)) .

وأكد رسول الله (ص) بقوله ((الدين نصيحة)) .

وتعد لامية صرمة بن أبي أنس الأنصاري في طليعة تلك الأشعار ، فقد صاغ مُثل الاسلام ، وكثيراً من مبادئه بأسلوب رفيع ، وتوجيه بنصيحته الى أبنائه ، وهي طويلة نكتفي منها بقوله :-

يا بني الأرحـام لا تقطعـوها وصلوها قصيرة من طـوال

واتقوا الله في ضعاف اليتامى ربما يستحيـــــل غير الحلال

واعلــموا أن لليـــتيم وليـــاً عالماً يهتـــدي بغيــر الســؤال

الى أن يقول :

واجمعوا أمركم على البر والتقـ وى وترك الخنا وأخذ الحلال

وهي تسير على هذا النهج في النصح والوعظ والإرشاد .

الزهد :

ومما دعا اليه الاسلام الزهد في الحياة الدنيا ومتاعها الزائل فالمسلم الصحيح من رفض متاعها ، وزهد عما فيها ، وعاش لآخرتهِ ، وهذا لا يعني الدعوة الى الرهبنة والانقطاع عن الدنيا ، لان الاسلام يدعو الى العمل والاعتدال في التمتع بما وهب الله من زخارف الحياة ومتاعها ، بلا إفراط او تفريط .

وقد انتشر في أرجاء الدولة الاسلامية عدد كبير من الوعاظ الزهاد الذين لا يفترون عن الدعوة الى الزهد ، والابتعاد عن ملذات الدنيا ومتاعها ، ويذكرون بالموت والآخرة ، مستلهمين آيات القرآن الكريم ، ؛ وسيرة خير الزهاد محمد (ص)، وأحاديثه الشريفة .

أنتشر هؤلاء الوعاظ الزهاد بعد أن أن كثرت الأموال بأيدي الناس وبدأت الحياة تميل نحو الترف والعبء من ملذات الدنيا ونعيمها .

وكان من الطبيعي أن تترك تلكم المواعظ أثرها البالغ في نفوس الشعراء الذين كانوا يترددون على مجالس الوعاظ ودروسهم .

وظهر ذلك جلياً في أشعارهم ، وعرف بشعر الزهد عدد من شعراء صدر الاسلام ، كعروة بن زيد الخيل وأبي ألأسود الدؤلي .

أما من الشعراء الأمويين فعرف سابق البربري ، ومالك بن دينار ، وعروة بن اذينة ، ومعظمهم شعراء الخوارج .

و استطاع هؤلاء الشعراء أن يتمثلوا مبادئ الزهد وأصوله الأولى ، كما استطاعوا أن يجعلوا هذا اللون من الشعر غرضاً مستقلاً قائماً بذاته ، يقوم على أسس ومبادئ الزهد الاسلامي التي تتمثل في ترك العرض الفاني ، والرضا بالقليل منه ، والرغبة في نعيم الآخرة الدائم .

قال حرب بن المنذر بن الجارود :

فحسبي من الدنيا كفاف يقيني وأثواب كتان ازور بها قبري

الشعر الحر

استطاع الاتجاه الرومانتيكي متمثلا بشعراء الديوان وشعراء أبولو وشعراء المهجر أن يعكس صورالقلق التي عصفت بالأمة العربية خلال النصف الأول من من هذا القرن ،وذلك بما جسده من أحلام وعواطف ، وما عكسه من آمال وطموحات . لكنها كانت آمالآ تداعب قلوب الشعراء وتدغدغ مشاعرهم وتسبح في عوالم بعيدة ،محاولة أن تقنعهم بجدوى مواقفهم التي تعتمد على الاحلام والرؤى ، بعيدة عن الواقع الذي يصدم وجودهم ،ولايحقق لهم شيئاًمما سعوا الى تحقيقه .

وقد استفزت نتائج الحرب العظمى الثانية جهود الشعراء واستنفرت مشاعرهم ، لينظروا نظرة واقعية الى أمتهم ليجعلوا للشعر ولوظيفته الاجتماعية وسيلة لتجاوز تلك الصورة التي استغرقت من حياة أمتهم خمسين سنة أو يزيد .

وتحتم على الشاعر منذ نهاية هذه الحرب أن يجعل من الشعر رسالة اجتماعية وحضارية يستجيب لها في ظل ما تغير من القصيدة شكلا ومضموناُ ،خصوصا بعدما اشتدت الصلة بيننا وبين الغرب ،وتأثرنا وأعجبنا بشعرائه ونقاده ، الذين كانوا قد سبقونا أشواطا طويلة .

واستجابة لكل العوامل الحضارية والفكرية والفنية ولدت القصيدة الحرة لتصبح ظاهرة على يد نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ، وتتجسد في موضاعتها وأفكارها اتجاها واقعيا يبتعد به عن تلك الأفكار التي صاغ بها الشعراء عالمهم المنشود وبنوا بها قصورهم في الأبراج العاجية .

وصارت القصيدة الحديثة تستمد موضوعاتها من مشاكل الإنسان المعاصر ، وما يعصف به من ويلات ، ومايفكر به من تغيير نحو حياة أفضل .

النشأة والأسباب والمصطلح

إذا كانت قصيدة (الكوليرا) لنازك الملائكة التي كتبتها في نهاية عام ١٩٤٦ ، وقصيدة السياب (هل كان حياً) التي نظمت بعد ذلك بقليل ، تمثل أولى محاولات الشعراء العراقيين بعد الحرب العالمية الثانية والتي تحقق بفضلها انتشار ظاهرة الشعر الحر هذه ، فأن هاتين القصيدتين وما تلاهما من قصائد لشعراء آخرين ، قد سبقت بمحاولات فردية لا يمكن التقليل من شأنها، على الرغم من أنها لم تحقق ظاهرة فنية عامة كالتي حققها الشعراء العراقيون .

من ذلك ،الشعر المرسل الذي نظمه رزق الله حسون عام ١٨٩٦ ، وأحياه جميل صدقي الزهاوي عام ١٩٠٥ . وكان أمين الريحاني قد نظم شعراً منشوراً في السنة نفسها "١" والواقع ان محاولات الكثيرين ممن خرجوا عن القصيدة العمودية ، قد اختلفت من شاعر لآخر، ولكنها على انها كانت محاولات كثيرة ، الا انها لم تكن من صميم القصيدة الحرة التي تعتمد التفعيلة ، واذا اقترب بعضها من هذا الشكل ، فقد كانت محاولات فردية لا تمثل ظاهرة فنية ، كالتي بدأها كل من الملائكة و السياب وصارت ظاهرة متميزة سرعان ما أقدم على النظم بها معظم شعراء العصر.

ومن هذه المحاولات الأولى ، ما جاء عفوياً غير مقصود ، أو ماجاء مقصوداً ولكن توقف .. لقد ترجم المازني ترجمة حرة بعض قصائد الشعر الإنكليزي ، واستخدم خليل مطران بحوراً مختلفة في قصيدته (نفحة الزهر)عام ١٩٠٥ .

وكان أحمد زكي أبو شاذي من أكثر شعرائنا المحدثين جرأة في تجربة الأشكال الشعرية وربما كان لتأثره ببعض الشعراء الأنكليز دور في هذا الاندفاع الى النظم بهذه الأشكال ولم يقتصر في محاولاته على تجربة الموشح والأشكال المقطوعية أخرى ،بما في ذلك السوناتا الانكليزية ، ولكنه جرب ذلك الشعر المرسل والشعر الحر الانكليزي .وربما كان أبو شاذي قد هدف في محاولاته تلك ، ان يحقق في قصائده إسلوبا جديداً يتسم بالبساطة ، وخلق موسيقى وإيقاع جديدين. ومن هنا كانت دعوته عن شكل جديد يتيح له حرية أوسع في أستخدام الإمكانات العروضية والسماح بحرية التعبير "٢" وقد شجع إندفاع أبي شاذي – وهو زعيم جماعة أبولو- العديد من شعراء هذه الجماعة ليحققوا ما حققه زعيمهم في ذلك . وكان من أكثر

الشعراء المحدثين تحقيقاً لهذه الشكل في قصائده ، فقد نظم خمس قصائد فيما بين عامي ١٩٢٦- ١٩٢٧ ولكن الذي يؤسف له توقفه عن الأستمرار عن تلك المحاولات .

وقد كان لمحاولاته في كتابة الشعر الحر ، اثر في العديد من جماعة أبولو بوصفه زعيماً لهذه الجماعة ، كما أنه وصف نفسه (بأول شاعر كتب الشعر الحر بالعربية).

وقد مارس شوقي هذا النظم في بعض مسرحياته الشعرية ، ونظم خليل شيبوب العديد من قصائده على هذه الطريقة ، واستخدم في مقدمة قصيدته (الشعراء) مصطلح (الشعر المطلق) مرادفاً للشعر الحر ،وفرق بينه وبين الشعر المنثور الذي لاوزن له ولا قافية ، وربما أُرخت أولى قصائده الحرة سنة (١٩٢١) "٤"، ثم عاود خليل شيبوب بعد ذلك تجربته في عام (١٩٣٤) في قصيدته (الحديقة الميتة ولقصر الباكي) .

وقد تابع العديد من الشعراء نظم قصائدهم على هذه الطريقة .ومن هؤلاء خليل مطران في قصيدته (نفحة الأزهار) عام ١٩٠٨ونسيب عريضة في قصيدته (النعامة) و(على طريق ارم وجبران في (المواكب) والياس أبو شبكة في قصيدته (الصلاة الحمراء) وقصيدته (الدينونة) ونشرت كلتاهما في (أفاعي الفردوس) .

وشبيه بهذا قصيدة الشاعر رشيد سليم الخوري (أقصى التجلد) وقصيدة الشاعر إيليا أبي ماضي (الشاعر والسلطان الجائر) ، كما نشر مصطفى عبد اللطيف السحري عدة قصائد من الشعر الحر في ديوانه (أزهار الذكرى) ، ونشر محمد منير رمزي قصيدة (نحو الغروب) ، أما الدكتور محمد مصطفى بدوي فيصرح بأنه تأثر بنظمه للشعر الحر(بإليوت) و (هوبكنز) عندما كان يدرس في انكلترا ، وقد وردت له عدة قصائد في ديوانه (رسائل من لندن) ولم يكتفي الدكتور

بدوي بما نظم من قصائد حرة ،وانما راح يدعوا الى ممارسة القصيدة الحرة والى تحطيم الأوزان والقوافي التقليدية ، لأنها صارت في هذا العصر عقبات في سبيل التعبير الحر الخالص على حد تعبيره .

ومن الشعراء الذين يرد ذكرهم في هذا الميدان (علي أحمد باكثير) في ترجمته لمسرحية شكسبير (روميو وجوليت) وفي أولى مسرحياته (السماء) و(أخناتون ونفرتيتي) عام ١٩٤٣، وقد أطلق على محاولاته تلك (الشعر المرسل).

تلك كانت محاولات تمت خارج العراق ، أما في العراق إذا أستثنينا-محاولة رزق الله حسون التي أشرنا اليها – فأن أولى القصائد التي نشرت كانت سنة ١٩٢١ ، وقد وردت في جريدة العراق تحت باب (نظم طليق) وبتوقيع (ب.ن)ونشرت مجلة الحرية الصادرة سنة ١٩٢٤ قصيدة للمازني ، ونشرت جريدة الأستقلال سنة ١٩٣٠ قصيدة لشاعر اسمه (مدحة) تحت باب (الشعر المرسل) بعنوان (فتاة الشرق) ونشرت جريدة العراق سنة ١٩٢٩ قصيدة لأنور شاؤل تحت باب (الشعر المرسل)أيضا وينشر سليم حيدر في مجلة الأديب اللبنانية عدة قصائد حرة"٦" وكان الزهاوي واحداً من الشعراء الذين جددوا الاوزان والقوافي ، وحاول أن يحرر الشعر من القافية بما أسماه الشعر المرسل ونظر الى الأوزان نظرة واسعة وأجاز للشاعر أن ينظم على أي وزن شاء .

ونخلص من كل ما مر ، الى أن محاولات عديدة قد سبق اليها شعراء من مصر والعراق ولبنان وسوريا ومن شعراء المهجر ، لكن تلك المحاولات كانت فردية لم يخطط لها أن تكون ظاهرة أدبية ،لها دواعيها وأسبابها التي ترتبط بها وتؤدي اليها ، أو فلسفة تقوم عليها ، بفعل دواعي العصر ومتطلباته الإجتماعية والفكرية والحضارية .

ولكن الذي حقق هذه الاستجابة كل من نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وآخرين ،وفي نهاية عام ١٩٤٦ ،وعلى الرغم مما أثارته هذه المحاولات من جدال بين نقاد

العراق أنفسهم، فقد رأى نهاد التكرلي أن البياتي هو المبشر بالشعر الحديث ورد عليه موسى النقدي بأن السياب هو صاحب المحاولة الآولى ، ويعد السياب هو أول من نظم الشعر الحر ، بينما ترى نازك الملائكة انها أول من حققت هذا النظم في قصيدتها (الكوليرا) .

ويرى صالح عبد الغني كبة أن نازك الملائكة هي أول من نظم القصيدة الحرة ،وأكد ناظم جواد أن قصيدة (هل كان حباً) للسياب أنها أول قصيدة في الشعر الحر.

وهكذا يصبح الشعر الحر ظاهرة أدبية ، بعد أن كان محاولات فردية ، ويصير لهذه الظاهرة

نظام له منهج ، وتوضع لدراسة كتب تؤرخ لبداياته ، ويكتب عن مصطلحه ، وعن الأسباب التي دعت ايه ، فتضع نازك الملائكة أول كتاب نقدي لهذه الظاهرة ، ويكون كتابها (قضايا الشعر المعاصر) أول دستور نقدي لهل ويثير عاصفة من الردود عليه ، ويكون كتاب (قضية الشعر الجديد) لمحمد النويهي أول صدى لما تكتبه نازك ، ويتصدى لمناقشته كثيرون ، من أمثال محمد مندوروعز الدين إسماعيل ويوسف عز الدين وأحمد مطلوب ويكون حصيلة ذلك كله كتب تعالج إصوله وتناقش مسائله .

ومن هذه الكتب (حوار مع الشعر الحر) لسعد دعيبس و(حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث) ل (س. موريه) بترجمة سعد مصلوح وكتاب الشعر الحر في العراق ليوسف الصائغ ، ويتناوله بالدراسة الدكتور أحمد مطلوب في كتابه (النقد الأدبي الحديث في العراق) ويوسف عز الدين في كتابه (في الأدب الحديث- بحوث ومقالات) .

ويكتب لهذا الشعر أن يقف على أرض ثابتة ، وأن يكون له رواده من شعرائنا الذين تألقوا في سماء الشعر كنازك الملائكة والسياب والبياتي وسعدي يوسف

وشاذل طاقة وأحمد عبد المعطي حجازي وأمل ونقل الفيتوري ومحمود درويش وسميح القاسم ، وعشرات غيرهم .

لقد وقفت نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) تحدد الأسباب الموجبة الى تحقيقه ، وردت على على الذين يرون أن من هذه الأسباب ، هي ولوع الشباب بالأغتراب والشذوذ ، أو ضيقهم بأهوال القافية الموحدة ، وولعهم بالسهولة أو أن الحركة بجملتها منقولة عن الاشعر الأوربي ولاعلاقة لها بالشعر العربي.

ووصفت الشاعرة الرائدة بديلا لهذه الأسباب ، فهي ترى أن سلوك هذا النمط الجديد في النظم إن هو إلا تلبية روحية ، ولذلك فأن حركة الشعر الحر معقودة بضرورة إجتماعية ، على حد قولها فان المجتمع هو الجذر الأساسي لها .

وتضع سبباً آخراً ،وهو ميل القصيدة الجديدة الى أن تخضع (الفن للحياة).وهذا معناه أن الشعر الحر بدا يسير في طريق الواقعية النقدية التي تستنبط موضوعاتها من المجتمع .

ومن الأسباب الأخرى التي تحددها ، ميل الشاعر وحنينه الى الأستقلال بشخصه تلبية لحاجة العصر ، وتأكيداً لشخصيته الحديثة ليحقق آصالته الفردية و إبداعه الشخصي .

ومن الأسباب أيضاً، نفور الشاعر من النموذج الجاهز في القصيدة سعيا الى تحقيق التنويع والتغيير ، كما أن لأيثار الشاعر الحديث للمضمون هو واحد من الأسباب الموجبة لهذا النظم ، فترى نازك أن الشاعر المعاصر بدأ(يتجه الى العناية بالمضمون ويحاول التخلص من القشور الخارجية .... ويمنح السطوة المتحكمة للمعاني التي يعبر عنها) ولم تكن الشاعرة الناقدة هي الوحيدة التي وضعت اسبابا لقيام هذا الشعر ، فقد سبقها الى ذلك أحمد زكي أبو شاذي ، حيث أكد (رغبته في تحقيق أسلوب جديد يتسم بالبساطة والذاتية ، وخلق موسيقى وإيقاع جديدين ، يمكنان من إطراح الشكل التقليدي الصاخب ونغمته الخطابية والصياغة التقريرية الساذجة لنتاج التجربة الشعرية كما يمكنانه أيضاً من تجنب المعجم الشعري المنتقى بما يكشف عن عالمه الداخلي وعقله الباطن وأن يستخدم الصور والرموز لكي ينقل جو تجربته من خلالها).

ومن هذه الأسباب أيضاً في نظر الشاعر ابي شاذي – هو ما يحققه الشعر الحر من حرية في التعبير واستخدام تكنيكات جديدة حسبما تمليه التجربة الشعرية وموهبة الشاعر والسماح بحرية التعبير . ومنها أيضا أن هذا الشكل افضل وسيلة لصياغة الملاحم والدراما والقصص الشعري ، ويرى أيضا أن الشكل التقليدي يميل الى أستعباد الشاعر بوزنه وإسلوبه وإيقاع تكنيكاته ، وخلاصة ما يعنيه أبو شاذي ، هو أن هذا اللون من الشعر يكشف عن وسيلة جديدة تتيح قدراً أكبر من الحرية .

ونخلص من هذا كله ،الى ان الشاعر المعاصر قد هدف بهذا النظم الى أن يحرر نفسه مما رآه حقيقاً في تقييد حريته والوقوف في طريق تحقيق شخصيته المعاصرة التي تسعى الى تحقيق مضاكين جديدة مستمدة من واقع حياتنا ، كما أنه يريد أن يستجيب لدواعي العصر الأجتماعية والحضارية التي تتخلف في تمثلها بالنسبة الى الشاعر الأوروبي ، وربما كان لأتصال شاعرنا الحديث بالثقافة الأوربية ، وتأثره ببعض من لمعت أسماؤهم في ميدان الشعر والنقد ، كأليوت و ستويل ومن قبلهم كولرج وهازلت وغيرهم ممن الذين أثروا الشعر العالمي بأعمالهم الكبيرة ، أثر في هذا التوجه . ونضيف أن شاعرنا المعاصر ظل ينظر الى شعرنا العربي عبر قرون خلت نظرة أشمئزاز دفعته الى أن يكون رافضاً لكثير مما ورثه من أشكال قديمة ،ظنا منه أن هذه الأشكال كانت وراء أسباب التخلف ، فما عليه إلا أن يزور عنها ليحقق ذاته ورغبته في التحرر من أشكالها التقليدية .

محاضرة في الأدب الحديث / المرحلة الرابعة

م.د. ياسمين احمد علي **٧ / ١٢ / ٢٠١٦**

المذهب الرمزي

المقدمة :

تطورت الاداب الاوربية وبدات تتضح معالمها منذ بداية عصر النهضة عبر مسارات فنية متميزة، اصطلح النقاد على تسميتها بالمذاهب الادبية ،وتعد تعبيرا امينا عن حالات نفسية عامة اوجدتها حوادث التاريخ وملابسات الحياة،ونعني بالمذاهب الادبية من الناحية النظرية هي تلك المذاهب التي وضع اسسها الشعراء والنقاد والكتاب،وبينو الاصول النظرية التي تقوم عليها سواء فلسفية او فنية .

هذه المذاهب عتلى اختلاف منازعها وتباين اتجاهاتها،اطلع عليها دباؤنا وافادوا منها واتخذو من بعض مبادئها اسسا لتطوير ادبنا العربي،وما يتعلق به من نظريات ومفاهيم نقدية ،وغدا يجاري اعظم الاداب العالمية من حيث مستواه الرفيع ومن الرفيع ومن حيث موضوعاته و أشكاله .

الرمزية : هي الإيحاء او التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة، والتي لا تقوم على ادائها اللغة في دلالاتها الوضعية،والرمز هو الصلة بين الذات والاشياء،فتولد الاثارة النفسية عن طريق الاحساسات لا عن طريق التصريح والتسمية .

والرمزية مذهب ادبي خلف البرناسية(الفن للفن)في الشعر ،وتاتي في المرتبة الثانية بعد الرومانسية من حيث الغنائية .

وقد ظهر تبلور هذا المذهب في النصف الثاني من القرن ال١٩،عندما اصدر جماعة من الكتاب مقالا سموه (مانيفستو) يعلنون فيه ميلاد تجربة جديدة ،تستخدم

فيها الكلمات حالات وجدانية،وكتب الشاعر الفرنسي بودلير قصيدة مشهورة بعنوان (المراسلات فيها للرمز دور بارز وبها عد مؤسس هذا المذهب وتلاه تلميذه رامبو (١٨٩١)الذي عد الشعر صناعة لفظية لافكرية،وكذلك الشان لمالا رميه الذي نحا النحو نفسه ١٨٩٨،واذا شهدت فرنسا ازدهارا لهذا المذهب ، فان انجلترا رغبت عنه.

ومن ابرز الشخصيات في المذهب الرمزي في فرنسا وهي مسقط راس الرمزية:

- الأديب الفرنسي بودلير ١٨٢١-١٩٦٨ وتلميذه رامبو .

- ومالاررراميه ١٨٤٢-١٨٩٨م ويعد من رموز مذهب الحداثة أيضاً .

- بول فاليري ١٨٧١-١٩٣٥م.

- في ألمانيا ر.م.ريلكه وستيفان جورج .

- في أمريكا يمي لويل.

- وفي بريطانيا:اوسكار وايلد .

١- الرمزية في الأدب الغربي

الرمزية طريقة في الادبي، تعتمد على الايحاء بالفاكار والصور والاحاسيس،واثارتها بدل تسميتها ووصفها ،وهي بمثاليتها تناقض الواقعية.

نشأتها ترعرعت الرمزية في ظل الفلسفة المثالية كرد على النزعة المادية وتفسيرها الجبري للحياة وتنكر اتلمثالية قدرة العلم على ادراك الحقائق، فهناك اسرار يقف العلم عاجزا عن الوصول اليها.

- استند الرمزيون على النتائج التي وصل اليها علم النفس في تقسيم العقل البشري الى منطقة الوعي ومنطقة اللاوعي ،فمنطقة اللاوعي هي مجال الشعر وفيها تكمن الحقيقة.

- مهد لهذه المدرسة الشاعر الفرنسي بودلير وقد ترجم للشاعر الامريكي (ادغار الان بو)وهو يرى ان الشعر خلق من الجمال منغم، والغموض عنصره الاول، وان التعطش الى اللانهائي هو من طبيعة الانسان ،وقد ظهر ذلك ديوانه (ازاهير الشر)،ويعد رائدا للمدرسة الرمزية.

- ولم يبلور هذا المذهب بفي فرنسا الا بعد سقوط فرنسا امام بسمارك عام ١٨٧٠م وسقوط الثورة الفرنسية،وشيوع الخيبة واليأس في الشعر الفرنسي.

- واهم شعراء هذا المذهب في فرنسا (رامبو ومالارميه وفيرلين).

ولم تعش الرمزية طويلا بسبب انعزالايتها وانكارها لمعطيات الواقع والعلم.

الموضوعات ووسائل الاداء:

الشعر الرمزي شعر وجاني وهو منبثق من الشعر الابداعي ، ولكنه مختلف عنه في انه رد فعل على الابداعية المسرفة، لافهو لايعبر عن عواطف منفصلة واضحة، بل يعبر عن مشاعر مبهمة وحالات نفسية غير محددة .

والشعر ومضات سريعة وخلجات عابر ولكي تصل الرمزية الى هذا المناخ الشعلري غيرت في وسائل الاداء.وسائل الأداء في الرمزية:١-الشعر كلمات:راى الرمزيون ان اللغة جمدت من فرط الاستعمال،ولم تعد قادرة على مواكبة الاحساسات العصرية ،وهي واضحة عقلية،واعماق الذات ضبابية رمزية،فحاولو ايجاد حل لازمتها.

- اكتشف بودلير جمالية القبح،وادخل الى اللغة الفاظا كانت ممنوعة قبله مثل(الحلازين-القبور العظام) .

- واهتم رامبو بلون الكلمة وايقاعاتها الداخلية.

- ولجا مالارميه الى الانزياحات اللغوية،وحمل اللغة ما لاتحتمل فاصبحت اللغة اهم من الموضوع في القصيدة.

٢- الشعر موسيقا : اعتبر الرمزيون ان المنغم اساس القصيدة ومفاتحها، فالمناخ البشعري يسهل الوصول الى منطقة اللاشعور، وراو ان اثر العطر او اللون.

فقد استنجد بودلير بالموسيقا:

تحملني بالموسيقى مثل البحر

نحو نجمتي الشاحبة

ادفع الشراع تحت سقف ضباب او في اثير سريع

٣- الشعر صورة وعلاقات جديدة:يلجا الشاعر الرمزي في صوره الى العلاقات غير المتوقعة بين طرفي التشبيه ،كقول بولدير:انا جميلة ايها البشر ،كحلم من حجر

- ولجا الرمزيون الى ما يسمى (تراسل الحواس) فالحواس المتبادل، والشلعر يستطيع تشبيه المؤثرات السمعية بالبصرية او اللمسية لان وقعها في النفس متشابه.

- ويرى بولدير ان (تداخل الحواس)يجعل الكلمة غابة من الرموز، فتاخذ الكلمات دلالات جديدة تمكن من الوصول الى منطقة اللاشعور.

٤- الشعر رمز:الرمز هو الأداة الرئيسية للتعبير في هذا المذهب-والرمز اقدر على نقل الحلات النفسية والشعورية التي لا يصرح بها الشاعر، كالرمز بالون الاحمر الى الثورة والحركة والحياة،و هذا هو سبب ابهام الشعر.

٥- الشعر الحر:أدى تغيير البنى الداخلية للشعر الى تغير شكل القصيدة الخارجي، وقد راى الشعراء الرمزيون ان عفلى الشاعر ان يخضع القالب الشعري لخوالجه المتغيرة، فاطلقو حرية الشكل وحاولوا العثور على النغمة المطابقة لخفقات الروح والوجان.

٢- الرمزية في الادب العربي الحديث

الفرق بين الرمز والرمزية:

الرمز: موجود في كل ادب ، شعري او نثري،فالليل في قصيدة امرئ القيس رمز لحالته الوجدانية، وهو يوحي بالحزن والحقد والخيبة.

الرمزية : هي مدرسة أدبية ذات اسس ومقاييس محددة وهي بنت الفكر الذي انتجها المجتمع الذي احتضنها.

الرمزية في النثر العربي:

- كان جبران اول من التفت في نثره تيارات الابداعية والرمزية والصوفية.

- وتميز نثره بالحس الرفيع واستخدام الالفاظ الموحية والعبارات الحالمة.

وتظهر الرمزية عنه في شخصية (حفار القبور) فالحفار قناع رمزي يبسط من خلاله جبران افكاره ومواقفه.وهو ثوري يرى مالا يرى الانسان العادي كحبنات الجن، ويميز بين الاموات والاحياء في المجتمع ويدعو مخاطبه

ليتزوج صبية من بنات الجن، ويتعلم حفر القبور ، ومن خلال الدلالات المتلاحقة يعبر عن ثورته على التقاليد التي سيطرت على عقول الناس.

الرمزية في الشعر العربي:

س دورة (١٩٩٥): تحدث عن الرمزية في الشعر العربي الحديث وايد ما تذهب اليه بشاهد واحد من الشعر العربي الحديث.

- ظهرت الرمزية عند بعض الشعراء في سورية ولبنان والعراق ومصر فاتخذوها مذهبا لهم.

- منهم من سار فيها حتى النهاية ، ومنهم من استفاد منها ثم تحول الى غيرها.

من الفئة الاولى:

- رائدها: الشاعر سعيد عقل الذي مهد لها في المقدمة النقدية لقصيدة المجدلية. ويرى ان غاية الشعر نقل حالة نفسية مسعصية على العقلي.

والشعر عنده مناخ وليس افكارا، وهو مناخ ضبابي موسيقي يعتمد على الايحاءات الموسيقية والصور الرمزية، ويستند الى تبادل الحواس ، فالحب اغنية اطيب من الشذا كما يقول:

هواك ياشاعري اغنية الخاطر

اطيب ، اشهى ، الذ من شذا عابر

- ويتوق سعيد عقل الى الوصول الى شعر رمزي خالص

- وقد حاول ان يخلق في اللغة ،فاضر باللغة العربية كثيرا.

والفئة الثانية : س دورة(١٩٩٧):تحدث عن الفئة الثانية الذين اغتنوا بالرمزية وعن استخدام الشعر الحديث للأسطورة .

- هناك مجموعة من الشعراء اتخذت الرمزية مذهبا لهم فاستفادت من خصائص الرمزية، واستخدمتها للتعبير عن أحساس دقيق او تحليل فكرة عميقة او إضافة قيم جمالية للأدب كالإيحاء والمز والأسطورة ومنهم (بشر فارس-وصلاح لبكي-نزار قباني-عمر ابو ريشة-السياب).

- استخدام الشعر الحديث للرمز الأسطوري:كان يتم بطريقتين :

١- استخدامه بشكل سريع في اثنء القصيدة على انهرمز يغني النص، كاستخدام السياب لرمز سيزيف في قوله:

عند بابي يصربخ المخبرون
وعر هو المرقى الى الجلجلة
والصخر ،يا سيزيف، ما اثقله!

فالشاعر يشبه نفسه بسيزيف الذي يتعذب دائما بالصخرة التي يجرجرها دلالة على عذابه وغربته ، ولكن هذه الرموز لا تؤدي دورها لجهل القارئ بها.

٢- استخدام الرمز الأسطوري على ان يكون هو القصيدة نفسها شكلا ومضمونا مادة وهيكل:

حيث تغدو الاسطورة شكلال من اشكال التعبير ومادة له ، بعد ان يشكلها الشاعر بطريقة تناسب تجربته الشعورية ومثال ذلك قصيدة (تموز جيكور) للسياب.

الانتشار ومواقع النفوذ:

بدات الرمزية في فرنسا حيث ولدت اكثر المذاهب الادبية والفكرية، ثم امنتشرت في اوروبا وامريكا.

ويكاد يكون هذا المذهب نتيجة من نتائج تمزق الانسان الاوربي وضياعه بسبب طغيان النزعة المادية وغيبة الحقيقة، والتعلق بالعقل البشري وحده للوصول اليها ، من خلال علوم توهم الخلاص عند السير في الدروب الجمال، لاشك ان الرمزية ثمرة من ثمرات الفراغ الروحي والهروب من مواجهة المشكلات باستخدام الرمز في التعبير عنها .

أثرها في الأدب العربي :

كان تأثير هذا المذهب قليلا في الأدب العربي وذلك يعود الى سببين:

- النزعة الارستقراطية للشعر الرمزي.

الغرض الذي تتسم به التجربة الرمزية مضمومنا وشكلا ،وهذا ما تأباه وترفضه البلاغة العربية القائمة على الوضوح والقصد.

لذا المذهب بعض الاهتمام من لدن بعض الشعراء العرب كالشاعر اللبناني سعيد عقلي،والكاتب المغربي محمد الصباغ ،ايليا ابو ماضي وخليل جران،كلاهما من شعراء المغرب الذين استعانوا بالرمز وتوظيف الاسطورة وشخصيات إسلامية معروفة او جاهلية ذات شهرة وانتشار.

ويتضح مما سبفق مذهب ادبي يتحلل من القيم الدينية ،ويعبر عن التجارب الادبية الفلسفية من خلاتل الرمز والتلميح،نايا من عالم الواقع وجنوحا الى عالم الخيال،وبحثا عن مثالية مجهولة تعوض الشباب عن غياب العقيدة الدينية،وذلك باستخدام التعبيرية الجديدة،الألفاظ الموحية وتحرير الشعر من كافة قيود الوزن التقليدية.ولا شك في خطورة هذا المذهب على الشباب المسلم ان درسه دون ان يكون ملما سلفا بأسسه المتقدمة والتي تهدر القيم الدينية .

الرمزية ومدرستها

السبت ١١ حزيران (يونيو) ٢٠١١، بقلم حسن شوندي

- الدكتور حسن شوندي

- عضو هيئة التدريس بجامعة ازاد الاسلامية في كرج ،قسم اللغة العربية

الملخص

في مستهل عصر النهضة قام كثير من الشعراء الى الاتيان بالمواضيع الجديدة دون اي ابداع في القالب الشعري فسموا بالمجددين في التقليد،ثم ظهر جيل اخر جعلوا للخيال والعواطف الفردية او تلمشتركة مع عواطف المجتمعالمكانة الاولى في انتاجاتهم الادبية.فاطلق عليهم بالرومانسيين،ثم غلب اخرون على الجو الشعري

ووجدو الرومانسية تغفل عما تجري في المجتمع العربي من واقع الحياة فلونوا اشعارهم بالالوان الواقعية واشتهروا بالواقعين وتابعهم اخرون احتل الرمز المكانة الاولى في اشعارهم عرفوا بالرمزيين

الكلمات الدليلية :

الرمزية،الاسطورة،الصورة الشعرية

الرمزية

الرمزية اتجاه فني يغلب عليه سيطرة الخيتال على كل ما عداه سيطرة تجعل الرمز دالالة اولية على الوان المعاني العقلية والمشاعر العاطفية.

وطغيان عنصر الخيال من شانه ان لايسمح للعقل والعاطفة الا ان يعملا في خدمة الرمز وبواسطته،اذ عوضا ان يعبر الشاعر عن غرضه بالغفكرة المباشرة.فانه يبحث عن الصورة الرامزة التي تشير في النهاية الى الفكرة او العاطفة(١)

المدرسة الرمزية

المدرسة الرمزية هي افراز حقيقي للثورة العلمية والتطور التقني والتكنولوجي الذي ساد في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بعد ان أحرزت العلوم التجريبية تقدما ملموسا في تلك الفترة مما حدا بالفيلسوف أوجست كونت الى تأسيس الفلسفة التي نادى بها ووضع قواعدها سنة ١٨٣٩م .

بعد ذلك بفترة قصيرة ظهرت عدة مداري ادبية هامة كان لها اثرها الكبير على احداث تغييرات في التوجهات الادبية في العالم ، وهذه المدارس هي الواقعية والبرناسية والطبيعية ، وقد تأثرت تاثرا واضحا بتلك العلوم التجريبية وبتلك الفلسفة الوضيعة فكانت دعوتهم في جوهرها تنادي بعدم الايمان الا بما يقع تحت الحس البشري ويخضع للملاحظة والتجريب بحواس الانسان ، بمعنى أنهم يغلبون المادة ويعتبرونها الأساس لكل الأفكار .

فالرمز شئ مألوف في تعبير الانسان وفي طبيعة الانسان، لكنه مالوفعلى حالة واحدة لا يخلو منها معرض الرمز والكناية،وهي حالة الاضطرار والعجز عن الافصاح ، فلم يرمز الانسان قط وهو قادر على التصريح والتوضيح ولم يجد كلمة واضضحة لمعنى واضح ثم اثر عليها الالتواء شغفا بالالتواء.

فاذا لوحظت هذه الحالة فالرمز اسلوب متفق عليه لايحتاج الى مدرسة تنبه الاذهان اليه .فالخيال لا يستشير مدرسة من المدارس لتشير عليه ان يحلم بالصور والتشبيهات او يحلم التحليل والتركيب في معامل الكيمياء والشاعر لايعاب اذا مثل مثل لنا الكواكب والازهار فالبسها ثياب الحياء، ومن ضاق به اللفظ فعمد الى التخييل والتشبيه فالناس لايحسبونه من هذه المدرسة او تلك لان المدرسة التي يصدر عنها في هذه الحالة هي المدرسة البديهة الانسانية كان الانسان وباي لغة من اللغات الغز وأبان .

لماذا جاءت المدرسة الرمزية

نظرا لفشل التجربة المادية وعلماء التجريب في كشف خبايا النفس البشرية ، كما فشلوا في اشباع الرغبات الانسانية الملحة في استطلاع اسرار الكون ،جاءت المدرسة الرمزية كرد فعل لهذا الفشل والافلاس العلمي والمادي. وكان من طلائع المفكرين ادباء وكتاب:الالماني جوته والامريكي ادجار الن ب وتبعهما فيما بعد كتاب وشعراء امثال شارل بودلير،صاحب ديون ازهار الشر وهو شاعر فرنسي مات صغيرا بعد ان حدث اثرا كبيرا في الشعر العالمي، وكذلك ميلارمبيه الفرنسي ووليم بلاك الانجليزي، وعلى يد هؤلاء الرواد استطاعت المدرسة الرمزية ان ترسي قواعدها وترسيخ افكارها وتكشف عن هويتها في المجال الادبي . وقد انحسر مفهومها في نقل الابداعات الادبية من تاثير المدارس الطبيعة والواقعية والبرناسية التي حصرت نفسها في اطار العالم الحسي المحدود وانتقل الى عالم او سع وارحب وهو عالم النفس والروح والغيب .

أما المذهب الرمزي في الادب فهو غير ذلك ، ومن المستحسن ان نسمية المذهب الايجابيلكي يتضح طريقته.

ومعناه باختصار شديد ، التعبير عن المعاني الكامنة في النفس ، التي لاتستطيع اللغة بصورتها المعتادة الكشف عنها ولذلك يعمد الاديب الى استخدام ايحاء الكلمات وايقاعها وظلالها ، ورسم صور ظليلة وتعبيرات مفاجئة،وليضع القارئ في دائرة الشعور الذي يجب ان يوصله اليه .

محاضرة في الأدب العربي / المرحلة الرابعة / قسم اللغة العربية / كلية التربية الأساسية

م.د. ياسمين احمد علي **٨ / ١٢ / ٢٠١٦**

الرمزية في الادب العربي

لم يكن الادب العربي بعيدا عن حركة التحول الى المدرسة الرمزية التي عزت وطغت على الادب العالمي والفكر الغربي، فانتقلت الرمزية الى الادب العربي على يد ادباء ورواد،امثال عبد الرحمن شكري واحمد زكي ابوشادي.

ففي الادب العربي لم تظهر الرمزية مذهبا محدودا كما ظهرت المذاهب الاخرى بل دخلت اعمال ادباء عرب من خلال اطلاعهم على الثقافة الغربية.وتجد امثال كثير للمذهب الرمزي في قصائد الشعر الحر الذي مال اليه معظم الشعراء المعاصرين ،مثل صلاح عبد الصبور،محمود درويش،وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة ،وفدوى طوقان،وبدر شاكر السياب وغيرهم.

الصورة الرمزية

يقيم الكتاب نوعا من التوافق بين اقتران بالمجاز واعتمادها علة مكنونات حسية ويضفي على الصورة ابعادا رمية،من حيث ان الصورة ((رمز يتاثر بحالة روحية فهي صورة تعبيرية وليست صورة سببية)) .

والشاعر لايخلق صورو من عدم،وانما يختار من الامكانات المتاحة في اللغة ويستعين بمدركاته الحسية المختزنة ويقيم تفاعلا من نوع خاص ليشكل نظاما لغويا قادرا على أبراز الدلالات التي تحتويها التجربة الشعورية والفنية .

ذلاك لان((اللغة في اصلها رموز اصطلح عليها لتثير في النفس العاني والعواطف.

وانما يلجا المبدع لا يمكن التعبير عنها الا بصورة الرمزية دون غيرها،فهي ((ذات إيحاء جم،مظهر ايجاز واضح))

الرمز والأسطورة

من ابرز الظواهر الفنية التي تلفت النظر في تجربة الشعر الجديدة الاكثار من اسنخدام الرمز والاسطورة اداة للتعبير.وليس غريبا ان يستخدم الشاعر الرموز والاساطير في شعره.فالعلاقة القديمة بينهما وبين الشعر ترشح لهذا الاستخدام،وتدل عندئذ على بصيرة كافية بطبيعة الشعر والتعبير الشعري .

وطبيعة الرمز طبيعة غنائية مثيرة،تتفرق دراستها في فروع شتى من المعرفة،في علم الديانات والانثروبولجي وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللغة نفسه،ولكن طبيعة هذا الكتاب عامة،وطبيعة هذا الفصل خاصة لاتسمح بتمثل طبيعة الرمز وكذلك الاسطورة في اطر المعارف المختلفة،وانما يهمنا هنا ان تتفهم الطبيعة((الرمز الشعري)).

هل للرمز الشعري طبيعة تختلف عم طبيعة الرموز في المجالات المختلفة ،كالمجال الديني(او الصوفي) والمجال العلمي(او الرياضي) والمجال اللغوي(الصرف) ؟

ان الرغبة الدائمة الملحة على الانسان هي رغبة الوجود وكل مغامرات الانسان الطويلة ليست في اقصى غاياتها الا طريقا لتحقيق وجوده ومن ثم لادراك معنى هذا الوجود.

الصورة الشعرية

وليس غريبا ان يلتقي الدراس بتعريفات شتى متعددة الصور حتى((صار غموض مفهومها شائعا بين قسم كبير من الدارسين)) .

ولم يقتصر الاختلاف حول مفهومها،بل يطال كذلك محاولة تاصيلها وتتبع تطورها اذ يؤكد عدد من الدارسين اصالة مفهوم الصورة وعمق تجذر في التراث.

وينفي اخرون هذه الصلة ويعدون الصورة مصطلحا وافدا من الحضارة الغربية.

ويبدو ان وظيفة الشعر، انذاك التي كانت تتمحور حول التعليم والامتاع والدعوة والامتناع،قد ساهمت في اغفال دور المبدع وتجربته الشعورية،ومدى ملائمة العمل الادبي لها وتعبيره عنها .

الصورة والرمز

اللغة الشعرية لغة ايحائية تحفل كثيرا بالكلمات الثرية ذاتت الدلالات المتنوعة ليست لانها كلمات خاصة تصلح لان تكون شعرية ،فليس ثمة كلمات شعرية واخرى غير شعرية في طبيعتها المعجمية،وانما تكتسب هذه الصفة من خلال استخدام المبدع لها استخداما خاصا يضفي عليها جمالا ويسمها بالشعرية التي ((تمتنع اذا ظل الاختيار الافرادي في منطقة ((المواظعة))واذا ظل الاختيار التركيبي في منطقة((المالوف))بل لابد من مغادرة مثل هذه المناطق،وزرع الدال في وسط تعبيري يعمل على تفريغه من دلالته جزئيا او كليا))،فلغة الشعر تبتعد عن الاستخدام النمطي ،وتعمد على تجاوز الاشاري ال الانفعالي لتاخذ من العالم الخارجي صورتها العيانية،ومن العالم الداخلي بعدها الانفعالي المختلط،حيث تختلط فيه عوالم الاحلام والواقع واللاواقع وتسعى الى تشكيل خلق جديد من العاقات في طريقة جديدة من التعبير،وعندها لاتكتفي اللغة الشعرية بالصورة بل تتعداها في بحثها عن الايحاء والتوسع والشمول،الى الرمز((وطبيعة الرمز طبيعة عنية مثيرة))تضيف الى السياق الذي يردفه رحابة وعمقا،وتتسع ساحته((لاى حد استيعاب الدلالات المتقابلة او المتنافضة)) فتلبي الغة عن طريق الرمز رغبة الشاعر في ايجاد اسلوبه الخاص وتعود العجز الذي قد ينشئ عن حدة التجربة الشعورية وغموضها ،فيضطر((الى اللجوء لتركيبات لغوية متناقضة كانت ام متضادة وحتى بعيدة عن المالوف تستطيع فحسب ان تنقل الاحساس الخاص الدقيق الذي يعانيه)).

كان الشاعر سعيد عقل من الذين اثرت ثقافته الفرنسية في افكاره وتزعم فكرة الكتابة الادبية بالاساليب الفرنسية والتحرر من قيود الشعر مما مهد لقصيدة

النثر.كما عالج الكتابة العربية بالابجدية اللاتينية وهكذا اتلكتابة باللهجة العامية كما استهوته المدرسة الرمزية فعمد الى الغموض والتعقيد في شعره.

نكوذج من شعره

الليل والدنيا ريب

تقولها تنزلت

عذراء عن راحة رب

وهذه الشمس التي

تغيب...تغوي.....تغتصب...

رمانة تفلجت

او قلب عذراء انعطب.